مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 12 عدد: 4، ديسمبر 2023
ص: 304 - 315 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

أثر البيئة الجغرافيّة والثقافة على اللّغة

The impact of geographical environment and culture on language

عبد الصمد علواني [*] / رابح بن علي [2] / عراب أسماء [3]
Abd essamad allouani [1] / Rabah Ben Ali [2] / Arab asma [3]
المركز الجامعي سي الحواس بريكة (الجزائر) [1] / المدرسة العليا للأساتذة أحمد قايد صالح بوسعادة (الجزائر) [2] / جامعة يحي فارس بالمدية (الجزائر) [3]
University Center Si Alhouas of Barika (Algeria) [1] / École Normale Supérieure Ahmed Gaiad Salah Bousaada (Algeria) [2] / Université Yahia Farès Médéa (Algeria) [3]
allouaniabdou@gmail.com [1] / rabah1055@gmail.com [2] / arab.asma@univ-medea.dz [3]

تاريخ الإرسال: 2023/08/07	تاريخ القبول: 2023/10/23	تاريخ النشر: 2023/12/15

مُلخّص البحث

بات معروفا في الدّراسات اللغويّة والاجتماعيّة أنّ الإنسان ابن بيئته يؤثّر فيها ويتأثّر بها، ويظهر ذلك جليّا في أكله ومشربه وملبسه ولغته، فسلوك الإنسان وطباعه وثقافته ما هي إلّا امتداد لعناصر بيئته وطريقته في التّواصل والتّعاطي معها فهي من تصقله وتلوّنه حسب جغرافيتها ومناخها، وانطلاقا ممّا تقدّم تهدف هذه الورقة البحثيّة للإجابة عن السؤال التّالي: كيف تؤثّر جغرافيّة المكان والثّقافة على لغة الإنسان؟ وهل لهذه العناصر أثر في اختلاف المدلولات على مستوى اللّغات؟، واعتمدنا في هذه الدّراسة على المنهج الوصفيّ، والتّحليل كأداة لتوضيح أهميّة البيئة الجغرافيّة في توجيه اللّغة، وتسهم البيئة الجغرافيّة والثّقافة في تميّز الإنسان عن غيره داخل هذا الكون لاسيما فيما يتعلّق باللّغة التي يعبّر بها عمّا يختلج في صدره، فهي تلعب دورا كبيرا ورئيسا في بناء وتشكّل لغته لأنّ اللغة ليست صوتا وصرفا ونحوا فحسب بل هي أكبر من ذلك؛ أي إنّها كائن يخضع لأمور عدّة بما فيها الموقع الجغرافيّ وثقافته.

الكلمات المفتاح: جغرافيا، طبيعة، ثقافة، لغة.

Abstract :

It is well known in linguistics and social studies that man is a product of his environment,both influencing and being influenced by it. This latter appears in their eating,drinking,clothing and their language.Humans attitude, character and

[*] عبد الصمد علواني allouaniabdou@gmail.com .

culture are nothing more than extensions of the elements of their environment and their way in communicating and interacting with it. It is what shapes and influences them according to its geography and climate .

Based on the foregoing, this research paper aims to answer the following question

How do the geography of place and culture affect human language? And do these elements have an impact on the difference in meanings at the level of languages?, "In this study, we relied on the descriptive approach, and analysis as a tool to clarify the importance of the geographical environment in directing language, The geographical environment and culture contribute to making man unique in the universe , especially in terms of the language he uses to express what is mesmerising in his chest .

It plays a crucial and chief role in building and shaping his language since it is not merely sound ,grammar or morphology,but it is more than that.

In other words, it is an entity which is exposed to several factors including geographical location and culture

Keywords: Geography- Environment- Culture- Language

المقدمة:

تعدّ اللّغة في أبسط تعريفاتها نظاما من الأصوات يعبّر به كلّ قوم عن أغراضه أو أداة تواصل يتواصل بها المتكلّم مع غيره من أجل حفظ البقاء في هذا الكون، وإذا كان للّغة مفهوم شامل يمكن إسقاطه على كلّ اللّغات إلّا أنّه توجد بعض الفروقات التي تخضع لها هذه اللّغات ومثال ذلك على المستوى الصوتيّ أو الصرفيّ أو التّركيبيّ، والحقّ أنّ هذا أبرز ما يميّز اللّغات عن بعضها البعض ولكنّه ليس الأمر الوحيد فهنالك أمور أخرى تسهم في تشكّل اللّغات وانفرادها بسمات عن اللغات الأخرى، وذلك يتجلّى في البيئة الجغرافيّة والثّقافية، فالإنسان بطبعه كائن اجتماعيّ يستمدّ لغته من الموقع الذي يعيش فيه وكذا الثّقافة التي تسود هذا الموقع، ولطالما كانت هذه البيئة مصدر إلهام للشّعراء والأدباء الذين يترجمون هذه التّأثيرات على مستوى قصائدهم ونصوصهم الإبداعيّة والأمر لا يتوقّف عند هذه الفئة فحسب أعني فئة الموهوبين وإنّما يتجاوزهم إلى كلّ فرد داخل هذا الحيّز الجغرافيّ والثقافيّ، وبما أنّه لكلّ قوم من الأقوام بيئة جغرافيّة معيّنة وثقافة معيّنة فهذا ينتج عنه اختلاف على مستوى اللّغات بصفة عامّة وعلى مستوى اللّهجات بصفة خاصة، وممّا تقدّم نطرح السّؤال التّالي **كيف**

تؤثّر الثّقافة والبيئة الجغرافيّة على لغة الإنسان؟، وعليه تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الدّور الفعّال الذي تمارسه الرّقعة الجغرافيّة والثّقافة التي ينتمي إليها الإنسان في تكوين اللّغة التي وهبه الله إيّاها وميّزه بها عن بقيّة الكائنات الأخرى.

وقد تطرّقنا في هذا المقال إلى مجموعة من العناصر نذكر منها:

-مفهوم البيئة الجغرافيّة

-مفهوم علم اللّغة الجغرافيّ

-أثر البيئة الجغرافيّة على اللغة

-أثر الثّقافة على اللّغة

أوّلا/ المفهوم الاصطلاحيّ للبيئة عند العرب:

لقد بدأ التّفكير الفعليّ لدى العرب مع ظهور الإسلام هذا الدّين الجديد الذي قوّض أركان الحياة الجاهلية وأقام على أنقاضها صرحا جديدا مختلفا عمّا سبق قوامه مفاهيم ومبادئ نظّمت حياة الإنسان باعتباره مركز الكون وخليفة الله في الأرض، وكان للمفاهيم البيئيّة حضور واسع في الإسلام وإن لم يعرف بالمصطلح نفسه (البيئة) فلقد ورد مصطلح مرادف له في القرآن ليدلّ على الأماكن التي يعيش فيها الإنسان وهذا المصطلح هو الأرض باعتبارها موطنه الذي يسكن فيه، ومن الآيات التي يستأنس بها في هذا الصّدد قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ مَكّنكُم فِي الأَرْضِ وجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعيش قَليلا مَا تَشْكُرُونْ﴾[1].

أما من جهة التّطابق المفاهيميّ للبيئة كما هو معروف عند الغرب؛ فإنّه حسب بعض الدّارسين المعاصرين يعدّ **ابن عبد ربّه** أوّل من طرح المعنى المفاهيميّ للبيئة في كتابه **العقد الفريد**، وذلك في القرن الثالث هجري، وأشار به إلى الوسط الطّبيعيّ الجغرافيّ الذي يعيش فيه الكائن الحيّ بما في ذلك الإنسان، كما أشار به إلى المناخ الاجتماعيّ والسياسيّ والأخلاقيّ والفكريّ؛ أي إنّه جعل للبيئة معنين معنى ماديّا يشمل الطبيعة ومكوّناتها، ومعنى غير ماديّ يشمل النّظم وطبيعة العلاقات التي تسير وتحكم حياة الإنسان[2].

والشاعر الجاهلي **الشنفرى** يرى المكان الفسيح منطلقا لكلّ رفض للهوان والظّلم فيقول:

وَفِي الأَرْضِ مَنْأًى لِلْكَرِيمِ عَنْ الأَذَى ** وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القلَى مُتحول**[3]

ثانيّا/ مفهوم علم اللّغة الجغرافيّ:

يعرّف علم اللّغة الجغرافيّ بأنّه دراسة اللّغات من حيث توزيعها الجغرافيّ والسّكنيّ ومن حيث تأثير كلّ لغة في اللّغات الأخرى؛ أي إنّه فرع من فروع علم اللّغة يبحث في تصنيف اللّهجات واللّغات على أساس جغرافيّ، كما يبحث في توزيع لهجات لغة ما وفي الفروق بين هذه اللّهجات، ويهتمّ علم اللّغة الجغرافيّ بدراسة اللّغات في الحالة التي هي عليها الآن مع الإشارة بصفة خاصّة إلى عدد المتحدّثين بكلّ لغة والتّوزيع الجغرافيّ والأهميّة الاقتصاديّة والعلميّة والثّقافيّة، وأيضا التّعرف عليها في أشكالها المنطوقة والمكتوبة[4].

ثالثا/ أبعاد علم اللغة الجغرافي:

لعلم اللّغة الجغرافيّ أبعاد عديدة نذكرها كما يلي:

1- **البعد المكانيّ:** وهو ارتباط الظّواهر اللّغويّة في هذا العلم بالمكان، وهذا الارتباط هو الصّلة الوثيقة بين علم اللّغة والجغرافيا

2-**البعد المجتمعيّ:** فعلم اللّغة الجغرافيّ علم مجتمعيّ لتركيزه على دراسة المجتمعات إجمالا لا دراسة جزء منها.

3-**البعد الاقتصاديّ:** ويكون اتّصاله بوسائل الإعلام والمنتجات المرتبطة بالاستخدام اللّغويّ، ثمّ حياة اللّغات وبقائها أو اندثارها اعتمادا على هذا الإطار الماديّ.

4-**البعد الزّمنيّ:** ويعنى به التّاريخ وصلته بالماضي والمستقبل وتطوّر اللّغات وانتشارها وحيويتها اعتمادا على التّفاعل بين العامل التّاريخيّ والعوامل الأخرى.

5-**البعد السّياسيّ:** ويقصد به ما تقوم به مؤسّسات الدّولة التّي تؤثّر في الاستعمال الاصطلاحيّ اللّغويّ بآلياتها الفكريّة والثّقافيّة والقضائيّة والتّعليميّة أي السّياسات اللّغويّة.

6-**البعد اللّغويّ:** وهو التّركيزة الرّئيسة لعلم اللّغة الجغرافيّ ويعنى به التّكوّن اللّغويّ وتفرع اللّغة إلى لغات جديدة والتّطوّر اللّغويّ وما يتّصل به، فعلم اللّغة الجغرافيّ ينظر إلى اللّغات في محيطاتها الحيويّة.[5]

رابعا/ جهود العرب القدامى في علم اللغة الجغرافيّ:

لقد ورد عن العرب -لغويّين وجغرافيّين- ملامح وإشارات ووقفات تدخل في حقل اللّغويّات الجغرافيّة، وإن كانوا لم يعرفوا هذا المصطلح أو ما يرادفه من المصطلحات الحديثة، غير أنّهم أدركوا الصّلة الوثيقة بين اللّغة والجغرافيا والحاجة إلى العلمين معا في بعض القضايا؛ فاللّغويّ في بعض المسائل اللّغويّة يربط بين اللّغة والموقع الجغرافيّ، والجغرافيّ عند حديثه عن بعض المواضع يشير إلى مسألة لغويّة،[6] ومن بين أبرز المسائل التي تصبّ في هذا الاتّجاه ما يلي:

1/ مسألة الفصاحة وحدودها الجغرافيّة عند اللّغويّين العرب:

ممّا اشتهر في الدّراسات اللّسانيّة العربيّة عناية علماء العربيّة وحرصهم على نقائها من الألفاظ الدّخيلة التي قد تأتي من الدّول المجاورة لشبه الجزيرة العربية على غرار اليونان أو الفرس أو الرومان وهلمّ جرّا، فوضعوا حدودا للمناطق الموثوق في فصاحتها والتي تشمل قبيلة الحجاز وتميم وأسد وهذيل وقيس وبعض كنانة وبعض الطّائيين بينما ردّوا القبائل الأخرى المشكوك في لغتها.

2/ أثر البيئة الجغرافيّة في التّفريق بين اللّهجات العربيّة القديمة:

لقد عرف اللّغويّون القدامى اللّهجات عند تدوين الفصحى ودراستها ولا تخفى جهودهم الكبيرة في تدوين لهجات القبائل عند تقعيدهم للّغة بيان اختلاف بعض قواعد النّحو، وكذا عند تدوينهم ألفاظ اللّغة ومعانيها وأصواتها ودلالتها عند جمع الثّروة اللّغويّة، وهم مع ذلك كانوا يربطون بين اللّهجة وأهلها وموطنهم الجغرافيّ، وهي مظاهر على الرّبط بين اللّغة والجغرافيا ومثال ذلك ما نجده بين لغة الحجاز (قريش) ولغة تميم (نجد).

3/ اختلاف تسميات الأشياء:

كان الجغرافيّون يذكرون الحالة اللّغويّة للبلدان التي يتحدّثون عنها ويذكرون أسماء الأشياء فيها، ومن ذلك ما ذكره المقدسي في رحلته (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)؛ حيث ذكر في بداية كتابه مجموعة من المترادفات التي يستخدم أحدها إقليم ويستخدم الآخر أقليم آخر فذكر مئة وثمانين كلمة تنقسم إلى مجموعات من الألفاظ المترادفة لكل مجموعة لفظان أو ثلاثة أو أكثر، بل إنّه سعى إلى أن يستخدم في حديثه عن الأقليم الكلمة المرادفة الشائعة فيه فقال : «وسنتكلّم في كلّ إقليم بلسانهم ونناظر على طريقتهم ونضرب من أمثالهم لتعرف لغتهم ورسوم فقهائهم فإن كنّا في غير الإقليم مثل هذه الأبواب تكلّمنا بلغة الشام لأنها أقليمي الذي نشأت فيه، ومثال ذلك نحو كلمة (لحام وجزار)، فقال في حديثه عن القيروان: "ولهم باب اللّحامين " وقال عن سجلماسة في إقليم المغرب: " لها باب القبلي باب الغربي باب غدير الجزارين باب موقف زناتة وغيرها "، والأمر سيان حينما تحدث عن اليمن في إقليم الجزيرة العربية فقال: "يقع عصبيات بين الخياطين وهم شيعة والجزارين وهم سنة"»[7]

4/ اللغة والثقافة:

ممّا لاشكّ فيه أنّ هنالك علاقة قائمة ووطيدة بين اللّغة والطّريقة التي نفكّر بها ونصرف بها شؤون حياتنا ونؤثّر بها على الآخرين، «ولهذا السّبب نفهم إحساسنا بالواقع الاجتماعيّ على أنّه بناء شيدته اللّغة أو لنقل هو لعبة لغويّة، فاللّغة هي الدّليل على الواقع الاجتماعيّ ورغم أنّ العلماء لا ينتبهون كثيرا للأهميّة القصوى التّي تشكّلها اللّغة لطلّاب العلوم الاجتماعيّة، فإنّ اللّغة هي الواقع وهي المسؤولة عن تشكيل تفكيرنا كلّه حول القضايا والمتغيّرات الاجتماعيّة والإنسان لا يعيش في العالم الماديّ وحده ولا يعيش في النّشاط الاجتماعيّ وحده كما جرى عليه الاعتقاد ولكنّه يعيش في كنف اللّغة التّي يعبّر بها في المجتمع، ومن الوهم أن نتصوّر أنّ الإنسان قادر على التّكيّف مع الواقع دون حاجة إلى اللّغة وأنّ اللّغة مجرّد وسيلة عرضيّة للتّفاهم وتوصيل الفكر والحقّ أنّ عالم الواقع قد انبنى-وإن كان ذلك من دون قصد- على العادات اللّغويّة التي تبنّتها الجماعة التي تتحدّث تلك اللّغة»[8].

ولقد أشار **ابن جني** في تعريفه للّغة إلى علاقة اللّغة بالفكر حينما قال: «"حدّ اللغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"، وهذا التّحديد لمفهوم اللّغة يتوافق إلى حدّ كبير مع مفهوم النّظريّة النّسبيّة ويتأكّد من جانبين؛ الأوّل وهو الجانب الصّوتيّ أي الرّموز اللّغويّة الذّهنيّة، والجانب الآخر يتحدّد في الوظيفيّة الأساسيّة للّغة؛ وهي التّعبير عن أغراض كلّ قوم من الأقوام، وذلك بنقل رؤيتهم التي يرون فيها عالمهم الخارجيّ ضمن إطار البيئة والمجتمع فاللّغة تختلف من مجتمع لآخر، وهذا يعني اختلاف في طريقة التّفكير»[9].

وفي هذا الصّدد أشار **سابير وورف** في فرضها الشّهير بأنّ لغة الهنود الأمريكان -على سبيل المثال- أدّت بهم إلى أن ينظروا إلى العالم نظرة تختلف عن نظرة هؤلاء النّاطقين بلغات أوروبية، ولنتأمّل مثالا لهذا الاستنتاج «فقد زعم **وورف** أنّ هنود الهوبي في أريزونا أدركوا العالم بطريقة تختلف عن القبائل الأخرى (مثل

القبائل الناطقة بالإنجليزية)؛ لأنّ لغتهم أدّت بهم إلى ذلك وفي قواعد لغة الهوبي تفريق بين **الكائن الحيّanimate وغير الحي in animate**، ومن بين مجموعة الكائنات المصنّفة على أنّها حيّة (السّحب والحجارة) فاستنتج **وورف** أنّ الهوبي يعتقدون أنّ السّحب والحجارة كائنات حيّة تعيش وأنّ لغتهم هي التي ساقتهم إلى هذا الاعتقاد والتّصوّر، بينما لا تحدّد الإنجليزيّة في قواعدها أنّ السّحب والحجارة كائنات حيّة، ولهذا فإنّ النّاطقين بالإنجليزية لا يرون العالم بالطّريقة نفسها التي يراه بها الهوبي **hopi** وفي هذا الاتّجاه يقول **وورف** : نحن نشرح الطّبيعة في خطوط ترسمها لنا لغتنا الأم»[10].

وممّا سبق يتّضح بأنّ اللّغة البشريّة لا تعتمد في بنائها على المستويات اللّسانيّات من صوت وصرف ونحو، بل تتجاوز ذلك إلى علاقتها بالثّقافة التي تحيط بالمحيط الذي يعيش فيه متكلّم اللّغة واختلاف هذه الثّقافات يتولّد عنه اختلاف في طريقة الحديث، وكذلك في مدلولات الكلمات نفسها فالإنسان كائن اجتماعيّ بطبعه يتأثّر بما هو موجود من حوله، ويترجم ذلك عن طريق لغته باعتبارها أداة التّواصل والتّخاطب ومقوّم من مقوّمات الهوية التي ينفرد ويتميّز بها عن غيره من المجتمعات الأخرى، فهو جزء لا ينفكّ عن عالمه الخارجيّ، وهذا العالم بكلّ مكوّناته عبارة عن مجموعة من المثيرات للفكر تعمل على تحريره من حالة الفكر الكامن إلى حالة الفكر الفاعل.

خامسا / أثر البيئة الجغرافيّة على لغتي الحجاز وتميم:

إنّ طبيعة الأصوات اللّغويّة وكذا طبيعة اللّغة تتعلّقان بأسباب البيئة الجغرافيّة والوضع الاجتماعيّ والنّفسيّ والحضاريّ للشّعب الذي يتكلّم بتلك اللّغة، ولقد كان معروفا من تأثّر لهجة تميم بالبيئة البدويّة التّي تحيط بها وهذا يظهر بشكل جليّ في ميلان هذه اللّهجة إلى استعمال الأصوات المهجورة والانفجاريّة؛ «ذلك لأنّ النّاس في البيئة الصّحراويّة غالبا ما يتحدّثون في العراء وقد افترشوا الغبراء والتحفوا بالسّماء وليس هنالك من حائل يصدّ موجات الصّوت أو يركّزها، بل تناسب الأصوات في محيط من الفضاء وتخفى فيه الأصوات فلا تكاد تبيّن أو تتّضح، ولا شكّ أنّ الأصوات المجهورة أوضح في السّمع تتلقّاها الأذن من مسافة عندها قد تخفى نظائرها المهموسة، كما أنّ من الصّفات النّطقيّة التي تلازم البدو سرعة الأداء، لذا مالوا إلى الأصوات الشّديدة وهذا يتناسب مع طبيعة البادية الخشنة والوعرة، كما أنّ البيئة الصّحراويّة الجّافة والمناخ القاسي بردا وحرّا قد كان من أسباب ظهور بعض الألفاظ التي تشير إلى أحوال مناخيّة بدقّة متناهية، ومن ذلك ما أورده المرزوقي في(الأزمنة والأمكنة) من أسماء البرد في لهجة تميم قال **الأصمعيّ**: يقال حمطرير بالحاء مثل الزمهرير وقال **التّميري**: بالقاف قمطرير وقال التّميّون من أسمائه الصّبر والصّنبر والزّمهرير والنّواخ والكلب والثقنحع فأما الصمبر بالقر الشديد في ريح أو غير ريح ويقال إن يومنا لصنبر القر»[11].

بينما عرف عن لغة الحجاز بأنّها لغة الحضارة والمدينة لذلك هي على العكس من لغة تميم؛ حيث كانوا يميلون إلى التخفيف في النّطق والكلام لأنّ هذا يوافق طبيعة المدينة فلغة المدينة في زراعتها وتجارتها وحرفها تحتاج بمرور الزّمن إلى ألفاظ جديدة لا تعرفها البداوة ويجتهد المدنيّ في اجتناب الألفاظ التي يثقل جرسها على

الأذن لما يدخل في رقّة العيش ونعومته، ويمكن أن نمثّل على هذا الاختلاف ببعض الأمثلة -على سبيل الذّكر لا الحصر- من القرآن الكريم مسألة تحقيق الهمزة (النّطق بها) وتسهيلها مثل قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[12]؛ في رواية حفص تحقّق الهمزة وهذا له مردّ وأصل في لغة تميم فهم من يحقّقون الهمزة؛ لأنّ هذا يتناسب مع طبيعة بيئتهم التي تميل إلى الخشونة في النّطق، بينما في رواية ورش تسهل الهمزة ﴿إِنَّمَا الْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[13]، فهنا تسهل وهذا على لغة الحجازيّين لأنّهم أهل حاضرة يميلون إلى التّخفيف في النّطق كما ذكرنا سالفا، وكذلك في بعض القراءات القرآنيّة نجد استعمال الصّوت المجهور من جهة والمهموس في قراءة أخرى نحو قوله تعالى:﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كَشَطَتْ﴾[14]، وفي قراءة أخرى ﴿وإذا السماء قشطت﴾[15]، أمّا الأولى فاستعمل فيها حرف الكاف وهو مهموس وهذا ما يتناسب ولغة الحجاز، بينما في الثّانية استعمل حرف القاف وهو حرف مجهور وهذا يتناسب ولغة تميم البدويّة التي تعرف باستعمال الأصوات الانفجاريّة القويّة، وفي الفعل المضارع قبيلة تميم تكسر حرف المضارعة فتقول تِعلم بينما تفتح قريش حرف المضارعة فتقول تَعلم، ونلاحظ أنّ الكسر ثقيل في النّطق يتلاءم مع لغة تميم بينما الفتح يلاءم لغة الحجاز؛ لأنّه خفيف نطقا بالإضافة إلى هذا ظاهرة الإدغام فأهل الحجاز يفكّون الإدغام فيقولون: اغضض واردد، بينما التّميميّون يقولون: غضّ ورد ..وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة [16]، والحقّ أن ظاهرة الإدغام في البادية (الرّيف) ماتزال موجودة حتّى في وقتنا الحاضر، ففي بلدنا الجزائر نجد أنّ بعض المناطق في الرّيف يطلقون على اسم محمد (حمّى) وعبد القادر (قدُّور) وفاطمة (فطُّوم) وما إلى ذلك وهذا نتيجة طبيعة البداوة والرّيف -كما أشرنا- بينما في المدن لا نجد توظيف هذه التّسميّات إلّا على الوجه القليل والنّادر؛ لأنّ المدن بطبعهم يميلون لفكّ الإدغام والتّخفيف.

سابعا/ البادية في لغة علي ابن الجهم:

روي عن الشّاعر **علي بن الجهم** وهو في حضرة الخليفة المتوكّل مادحا إيّاه:

أَنْتَ كَالكَلْبِ فِي حِفَاظِكَ لِلودِّ *** وَكَالتَّيْسِ فِي قراع الخطوب**

أَنْتَ كَالدَّلْوِ لَا عدمناك دلوا **** مِنْ كِبَارِ الدِّلا كثير الذُّنُوبِ**[17]

فأثارت أبيات **ابن الجهم** حفيظة الجالسين مع الخليفة؛ حيث نعته بالكلب في حفظ الودّ وبالتّيس في مواجهة المخاطر وبالدّلو المستخدم لنقل الماء، وهي الأمور التي لم تغضب المتوكّل نفسه لأنّه كان يدرك البيئة المختلفة التي حضر **عليّ بن الجهم** منها فقرّبه منه وأعطاه دار على شاطئ دجلة ليعود الشّاعر من جديد وينشد قصيدة مطلعها.

عُيُون المَهَا بَيْنَ الرَّصَافَةِ وَالجِسْرِ * جَلَبْنَ الهَوَى من حيث أَدْرِي وَلَا أَدْرِي**[18]

ويتبيّن ممّا تقدّم مدى تأثير البيئة الجغرافيّة على اللّغة فالبيئة الأولى بيئة اعتاد فيها الشّاعر على رؤية الكلاب والتّيس والأمور المختلفة التّي تشتهر بها الباديّة، بينما حينما غيّر له الخليفة المتوكّل الرّقعة الجغرافيّة تغيّرت لغته أيّا تغيّر إذ، وجد نفسه في بيئة بها قصور وأنهار وما إلى ذلك فانعكس هذا على لغته وعلى شعره كما هو موضّح في البيت السّابق.

ثامنا/ الحضارة والرفاهيّة في لغة ابن المعتز:

اهتمّ الشّعراء في المجتمع العباسيّ المتمدّن وأجوائه المفعمة بالازدهار الاجتماعيّ والتقدم العلميّ والثّقافيّ والتّغيير الذي طرأ على هذا المجتمع، وراحوا يهتمّون بوصف القصور والرّياض والمجالس والزّهور وتدفّق المياه وتصوير العواطف تصويرا جميلا كلّ هذا جاء بلغة حضاريّة تماشي العصر العباسي الذي يمثّل نقلة جديدة في حياة هذه اللّغة من حيث الألفاظ والأساليب الأصليّة، فضروب الإبداع الفنيّ يضاف إليها الصّور الفنيّة التي كان يصبّ فيها الشّعراء معانيهم وأخيلتهم لقد تغيّرت وتطوّرت بسبب التفنّن الحضاريّ الذي كان سائدا ذلك الوقت[19]، ومن بين الشّعراء الذين ساروا في هذا الاتّجاه **ابن المعتز** الذي أكثر من وصف البساتين التي تعدّ جزءا من بيئته في القصور وربّما انعكست هذه لا على ألفاظه فحسب بل ربّما على صياغته من حيث البديع حيث يقول:

أَمَا ترى البُسْتَان ** ونشر المنثورُ بردًا أَصْفَرا**
وَضَحِكَ الوَرْدُ إِلَى** وَاعْتَنَقَ القُطْرَ اعْتِنَاق وامق**
فِي رَوْضَة كحلة** وخرّمَ كهامة الطَّاوُوس**
والسَّرُ مثلُ قضبٍ** قد استمد من ترب ندِى**
على رياض وثرى** وجدول كالمبردِ المجلِيّ**[20]

يبيّن لنا **ابن المعتز** صورة من صور الطّبيعة ولاسيما في موسم الرّبيع فهو يقف أمام مشاهد الطّبيعة عاكسا السّمة الحضاريّة في عصر الشّاعر، والبديع أنّك تجد بديعا في تشكيل المعاني حينما يذهب إلى أنّ الورد يضحك إلى الشّقائق وكأنّ بينهما علاقة توافق فعلاقة **ابن المعتز** مع بيئته كعلاقة الورد بالشّقائق فاستعمال الشعار لهذه الألفاظ هو انعكاس لما هو موجود في بيئته[21].

تاسعا/ أثر الثقافة على اللّغة:

إنّ الاختلاف في طرق التّفكير والثّقافات ينتج عنه الاختلاف في اللّغات «فالثقافة تشكّل حيّزا كبيرا من اللّغة إلى جانب البيئة الجغرافيّة، فلكلّ شعب من الشّعوب ثقافة خاصّة به تؤثّر فيه وفي رؤيته لهذا العالم وهذا بالطّبع ينعكس ويترجم عن طريق اللّغة التي يتواصل بها مع غيره من الشّعوب الأخرى وربّما حتى داخل اللّغة الواحدة (اللّهجات)، ومن الأمثلة التي يمكن الاستئناس بها في هذا السّياق عدد الكلمات في لغة **الإسكيمو** التي تعبّر عمّا يقال في الإنجليزيّة ثلج SNOW، فعندما تنظر بوصفك ناطقا بالإنجليزيّة إلى مناظر الشّتاء سترى شيئا أبيض واحدا يسمى ثلج، أمّا الإسكيمو الذي يرى مناظر متشابهة فإنّه يرى عددا كبيرا من أشياء مختلفة، وهو يفعل ذلك كما يقال لأنّ لغته تتيح له أن يصنّف ما يراه بخلاف النّاطق بالإنجليزيّة أو أيّ لغة أخرى، وهذه الثّقافة أو إن صحّ التّعبير الدّقة في التّصنيفات فالرّاجح أنّها مكتسبة من تلك البيئة الجغرافيّة الباردة التي تلازمهم على مدار السّنة على عكس المناطق الأخرى التي قد لا ينزل بها الثّلج أو قد ينزل ولكن ليس كثيرا»[22]، ويرى الباحث أنّه يمكن أن نمثّل بمثال آخر من بيئتنا العربيّة في الجزائر أو غيرها من البلدان

التي تشتهر بالتّمر فتجد لهذه الفاكهة تسميات عديدة مثل تمر العجوة والرّطب والبلح ...إلخ، بينما في الدّول التي لا تشتهر بهذه الفاكهة على غرار الدّولة الأوروبيّة تجدهم يطلقون على كافة هذه الأنواع اسما واحدا فقط على سبيل المثال في اللغة الفرنسية DATTES، فهم لا يميّزون بين كلّ التسميات أي أنّ ثقافتهم لا تسمح بذلك بينما في الدّول العربيّة مثل الجزائر أو السّعوديّة فهم يميّزون بين كلّ هذه التّصنيفات والأنواع وطبعا الأمر هنا يشبه كلمة الثلج بالنّسبة لإقليم الإسكيمو، لأنّ طبيعة البيئة الصّحراويّة في هذه المناطق هي من أتاحت لهاته المجتمعات التفريق بين هذه الأنواع من فاكهة التّمر.

1/ اللغة والثقافة على المستوى الدّينيّ:

ويقصد بذلك أنّ مدلول المفهوم الدّينيّ الإسلاميّ على وجه العموم ليس كمدلول المفهوم المترجم له في اللّغة الإنجليزيّة فعلى سبيل المثال PRAYER، في الإنجليزيّة ليس سواء للجميع أي صلاة النّصرانيّ ليست كصلاة اليهوديّ أو الوثنيّ وهذه كلّها مختلفة اختلافا كليّا عن مفهوم الصّلاة عند المسلم ومن ثمّ فهو مفهوم نسبيّ لتقريب الأمر لغير المسلمين أي إنّهم يفهمون أنّ للمسلمين صلاة ولكنّهم لا يدركون طريقتها والأمر نفسه بالنّسبة للصلوات الخمس، بحيث لا يمكن لأيّ شخص غير مسلم لا يعرف عن الإسلام أيّ شيء ولا على هذه الصّلوات أن يفهم بالضّبط معنى صلاة الصّبح ومعنى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء لأنّ ثقافته النّصرانيّة أو البوذيّة لا تسمح له بذلك، فهو يعرف الصّلاة ولكن ليس الصّلاة التي يعرفها المسلم، والأمر نفسه مع كلمة الحجّ فالنّصارى كلمة الحج تعني عندهم زيارة أيّ مكان مقدّس أمّا المسلمين فتعني زيارة مكّة المكرمة فقط في شهر ذي الحجة، والذي يعتبر ركنا من أركان الإسلام كما هو معروف في الدّين الإسلاميّ.[23]

2/ أثر الثقافة على بعض الرّموز:

من المعلوم أنّ لكلّ رموزا أو كلمات لها دلالات إيحائيّة مثل الفجر الذي يرمز للاستقلال والصّليب الذي يرمز للدّيانة المسيحيّة والهلال للديانة الإسلاميّة، وما إلى ذلك ولكن في بعض الأحيان نجد الرموز نفسها، ولكنّ دلالاتها تختلف من لغة إلى أخرى وهذا بطبيعة الحال مردّه إلى الثّقافة التي يستخدم فيها هذا الرّمز ومن ذلك القمر الذي يرمز في الثّقافة الأجنبيّة الغربيّة، وفي العصور القديمة إلى أشياء غير محمودة مثل العنف والغباء والجنون فعندما يريد شخص أن يشبّه شخصا آخر بالقمر في هذه الثّقافة فهو يذمّه لا يمدحه لأنّ هذا الرّمز له دلالة سلبيّة بالنّسبة لهم، بينما لو جئنا لثقافتنا الإسلاميّة العربيّة نجد العكس لأنّ القمر لدينا له دلالات إيجابيّة نحو الجمال والحسن فعندما نصف شخصا معيّنا بالقمر أنت كالقمر فالمخاطب سيسعد بهذا التّعبير لأنّه مدح وإطراء وهنا يكمن دور الثّقافة في تأثيرها على اللغة[24]، والأمر نفسه حينما نستخدم لفظ البومة هذا الحيوان في الثّقافة الإنجليزيّة يرمز إلى الحكمة والرّحمة، بينما في الثّقافة العربيّة تدلّ على التّشاؤم فلو قمنا بمدح شخص عربيّ بقولنا أنت كالبومة فالنّتيجة ستكون عكسيّة لأنّه سيشعر بالإهانة لما يحمله هذا الرّمز من معنى سلبيّ ونقيض ذلك تماما في الثّقافة الإنجليزيّة سيستحسن المتلقي هذه الكلمة لأنّها ذات دلالة حسنة حسب معتقداته وثقافته.[25]

3/ أثر الثقافة على ألفاظ القرابة:

إنّ المتأمّل في اللّغة العربيّة سيجد أنّها وضعت لألفاظ القرابة عدّة كلمات، وكلّ كلمة خاصة بمدلول معيّن فحسب مثل العمّ والخال ولكنّ الأمر مختلف تماما في الثّقافة الأجنبية فهم يعبّرون على لفظ العمّ والخال بلفظ واحد فقط uncle وهذا مردّه، كذلك للثّقافة ولعلّ السّبب في ذلك كما يرى الباحث هو أنّ المرأة حينما تتزوّج تأخذ لقب زوجها بمعنى أنّها تنسب إليه، بينما في ثقافتنا العربيّة تبقى الزّوجة منسوبة لأبيها من حيث اللّقب ومن ثمّ فصهر الزّوج بالنّسبة للزّوج هو أخ له في القانون، ولهذا بقيت الكلمة تدلّ على معنى الخال لأنّه ألحقّ بالعمّ فلا حاجة للفظ آخر وإن كان ذلك على سبيل التّقريب فقط أو من جهة القانون.

الخاتمة:

في الأخير وانطلاقا ممّا سبق يمكن تلخيص أهمّ النّقاط التي جاءت في البحث على النّحو الآتي:

1-اللّغة عبارة عن كيان ولا تتوقّف عند المستويات الأربعة المشهورة (الصّوتيّات والصّرفيّات والنّحويّات والدّلاليّات).

2-للبيئة الجغرافيّة دور في اختلاف اللّغات واللّهجات على حدّ سواء.

3-الثّقافة عنصر مهمّ من العناصر التّي تشكّل اللّغة في أيّ مجتمع.

4- الاختلاف في الثّقافات والأفكار ينتج عنه اختلاف في اللّغات.

5-تأثير البيئة الجغرافيّة والثّقافة يتجاوز اللّغات المختلفة إلى اللّهجات داخل اللّغة الواحدة.

هوامش:

[1] سورة الأعراف، الآية 10

[2] ينظر: دليلة مكسح، البيئة في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة دكتوراه، (2015/2014م) جامعة محمد خيضر بسكرة، ص: 21

[3] عبد الرحيم عصام أحمد عبد الرحيم شعر الصعاليك وتأثره بالبيئة، (2017م)، أطروحة ماجيستر جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ص: 124

[4] عبد العزيز بن حميد الحميد، علم اللغة الجغرافي بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب، (2011م)، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، السنة الثانية، ص29

[5] ينظر: عبد العزيز بين حميد الحميد، علم اللغة الجغرافيّ بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب، (2013م)، المجلة الجامعية لجامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، المجلد 6، العدد2، ص: 686

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص: 44

[7] المرجع نفسه، ص: 45

[8] كلير كرامش، تر: أحمد الشيمي، اللغة والثقافة، (2010م)، وزارة الثقافة والفنون والتراث قطر، ط 1، ص: 143

[9] أحمد إبراهيم محمد بني عطا، النظرية اللّغوية النّسبيّة بين التراث والدرس اللساني الحديث، (دت)، كلية العلوم الإدارية والإنسانية جامعة الجوف، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، المملكة العربية السعودية، العدد 38، ص468

[10] جورج يول، تر: محمود فراج عبد الحافظ، معرفة اللّغة، (دت)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية/ مصر، دط، ص250

[11] كرامة هاشم علوان، أثر البيئة في الصوت اللغوي، (2013م)، مجلة الأستاذ، العدد208، المجلّد1، ص:168

[12] سورة الحجرات، الآية: 10 (رواية حفص)

[13] سورة الحجرات، الآية: 10 (رواية ورش)

[14] سورة التّكوير، الآية: 11

[15] سورة التّكوير، الآية: 11

[16] ينظر: حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، و(1990م)، زارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، العراق، دط، ص52

[17] ينظر: 00:33, 2021-07-26 http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=3576

[18] المرجع نفسه

[19] ينظر: عباس المصري، مقوّمات الصّورة في شعر علي بن الجهم، (2012م)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد39، العدد 02، ص: 286

[20] ينظر: محمد محمود علي العمرو وعماد علي سليم الخطيب، البيئة العباسيّة وأثرها على اللّغة الشعريّة، (2016م)، جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة عمان، العدد 20، ص: 176

[21] ينظر: المرجع نفسه، ص: 176

[22] جورج يول، معرفة اللغة، ص: 251

[23] إشكالية غياب المكافئ الثقافي بين اللغة المصدر واللغة الهدف من خلال بعض النماذج بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية،00:52 2021-07-26م، https://aleph-alger2.edinum.org/2362

[24] المرجع نفسه

[25] المرجع نفسه

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم، برواية ورش وحفص.

(1) الكتب:

1. جورج يول، تر: محمود فراج عبد الحافظ، معرفة اللّغة، (دت)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (الإسكندرية/ مصر)
2. حاتم صالح الضامن، فقه اللغة، (1990م)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، العراق، دط
3. كلير كرامش، تر: أحمد الشيمي، اللغة والثقافة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، (2010م)، قطر، ط 1
4. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (2003م)، دار الثريا للنشر والتوزيع، المجلد17، ط1

(2) المجلّات:

5. أحمد إبراهيم محمد بني عطا، النّظريّة اللّغويّة النّسبيّة بين التراث والدرس اللساني الحديث، (دت)، كلية العلوم الإدارية والإنسانية جامعة الجوف، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، المملكة العربية السعودية، العدد 38
6. عبد العزيز بن حميد الحميد، علم اللغة الجغرافي بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب، (2011م)، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، السنة الثانية.
7. عبد العزيز بين حميد الحميد، علم اللغة الجغرافيّ بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب، (2013م)، المجلة الجامعية لجامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، المجلد 6، العدد 2.
8. عباس المصري، مقوّمات الصّورة في شعر علي بن الجهم، (2012م)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد39، العدد 02.
9. كرامة هاشم علوان، أثر البيئة في الصوت اللّغويّ، (2013م)، مجلة الأستاذ، المجلد 01، العدد208.
10. محمد محمود علي العمرو وعماد علي سليم الخطيب، البيئة العباسيّة وأثرها على اللّغة الشعريّة، (2016م)، جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة عمان، العدد 20.

(3) الرسائل الجامعيّة:

11. دليلة مكسح، البيئة في الشعر الجزائري المعاصر، (2015/2014م)، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة/ الجزائر.
12. عبد الرحيم عصام أحمد عبد الرحيم، شعر الصعاليك وتأثره بالبيئة، (2017م)، أطروحة ماجيستر، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

(4) المواقع الإلكترونيّة:

13. http://alwasat.ly/news 26-0662021,01:10
14. http://www.arabicmagazine.com/arabic/ArticleDetails.aspx?id=3576 ,00:33 26-07-2021
15. إشكالية غياب المكافئ الثقافي بين اللغة المصدر واللغة الهدف من خلال بعض النماذج بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية، 00:52 26-07-2021م، https://aleph-alger2.edinum.org/2362